

## القدس مهد الحضارة الإنسانية

### Bفتحي رشيدb

من المستغرب أن يتجاهل من يعتبرون أنفسهم علمانيين وبأنهم صناع العلم والحضارة، ما قدمته العلوم ويصدقوا ما قاله ويقولوه كتاب اليهود الصهاينة عن أنفسهم وعن تاريخهم وتاريخ هذه المنطقة، خاصة المعروفة باسم «فلسطين» مع أنهم يعرفون أن أغلب ما يقولونه ويكتبونه مستمد من التوراة التي يعرفون أنها ليست كتاباً في التاريخ بقدر ما هي كتابٌ في الأيديولوجية، وأن كتبها استطاعوا أن يختلقوا ويلفقوا ماضياً يفتقد إلى الأدلة العلمية والمنطقية، إن لم نقل يتناقض معها بصورة جذرية ومن المؤسف أن نقول أنهم استندوا إلى هذا التاريخ الملقق لتبرير عملية استيلائهم على أراضٍ تخص شعباً آخر وطرده منها، تلك العملية التي أطلق عليها المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي «جريمة العصر».

وإذا كانت عملية تشريد شعب من أرضه والاستيلاء عليها تعد جريمة فإن عملية تزييف تاريخه، وشطب منجزاته التي قدمها للحضارة الإنسانية، والعمل على تهميشها وطمسها هي جريمة أبشع وأقسى وأفدح، باعتبار أنها شكلت وما تزال تشكل الأرضية والخلفية الفكرية والسياسية والإعلامية التي استندت عليها الصهيونية العالمية للقيام بالجريمة الفعلية ولتبريرها، وإقناع العالم بعدالة ما قاموا ويقومون به من جرائم، أو بجعله يتقبلها ويسكت عليها.

ومن المؤسف أن نقول إنهم مع معرفتهم بأن أغلب المكتشفات الأثرية والدراسات الأنثروبولوجية والتاريخية واللغوية والقراءات المنطقية تنسف أغلب - إن لم نقل كل - ما جاء في التوراة وأغلب ما كتبه كثيرٌ من المؤرخين الغربيين الذين استندوا إليها في روايتهم

للتاريخ. مازالوا يؤمنون و يتمسكون بما جاء فيها من خرافات ويستندون عليها لتبرير ما يتخذونه من مواقف داعمة أو مؤيدة أو صامتة.

ولهذا فإننا نرى أن نقطة البداية للتصدي لهذه الجرائم يفترض أن تنطلق من إعادة الاعتبار للتاريخ الحقيقي لفلسطين وبخاصة للقدس التي طالتها آلة القمع والتزييف والتشويه و التدمير والتهويد .

ونحن في هذه الدراسة الموجزة لن نتصدى لكل الأكاذيب والتلفيقات التي روجها هؤلاء الكتبة، بل سنركز فقط على ما قدمته الأبحاث والمكتشفات الحديثة من حقائق دامغة، و لنؤكد في الوقت ذاته على دورنا في التاريخ الذي جرى تهميشه وطمسه ضمن خطة طويلة وممنهجة، وعلى حقنا في هذه الأرض وفي العودة إليها، على أمل أن تكون هذه الدراسة دافعاً لنا ولغيرنا من البشر لتبني وجهة نظر جديدة قد تكون قاعدة لتبني مواقف مغايرة للمواقف التي اتخذوها أو اتخذناها في المراحل السابقة.

### أولاً: فلسطين مركز نشوء وانتشار الجنس البشري:

أكدت الدراسات العلمية الحديثة التي قدمها علما المستحاثات والبيولوجية أن الجنس البشري الحالي والمعروف باسم الإنسان العاقل، الذكي والماهر، (هومو سبيانس) يعود بنشأته إلى الإنسان المنتصب القامة المعروف باسم إنسان نياندرتال، قد نشأ في وسط وشرق أفريقيا في فترة لا تبعد عنا أكثر من ١٥٠ ألف عام. وأن هذا الجنس البشري مع الانحسار الجليدي الأول<sup>(١)</sup> » والذي يعود إلى حوالي مئة ألف عام بدأ يهاجر شمالاً عبر برزخ السويس إلى المنطقة المعروفة اليوم باسم فلسطين ومنها بدأ ينتشر إلى جميع بقاع الأرض .

لذلك يمكن اعتبارها بمثابة الخزان الذي كانت تتجمع فيه ثم تنشر منه جميع المجموعات البشرية المعروفة اليوم في كافة أنحاء الأرض .

ويتفق أغلب علماء البيولوجيا والمستحاثات البشرية على أن أقدم هيكل عظمي للإنسان الحالي والذي يعود إلى حوالي ثلاثين ألف عام ، قد تم العثور عليه في كهوف منطقة « قفزة و«كيبارة» بالقرب من القدس . الأمر الذي يعني أن البنية الجينية للإنسان الحالي، العاقل ، قد نشأت وتشكلت وتطورت في هذه المنطقة من العالم ، لأسباب وعوامل عديدة لأمجال للخوض فيها في هذا البحث الموجز . ثم انتشرت منها إلى جميع بني البشر خلال الثلاثين ألف عام الماضية، وبخاصة بعد الانحسار الجليدي الرابع، والذي يعود إلى ما قبل خمسة عشر ألف عام من الآن . نحو ما تسمى اليوم لبنان وسوريا والعراق وشبه الجزيرة العربية ومن ثم إلى آسيا الوسطى ومن ثم إلى أوروبا وبلاد فارس والهند وجزرها والصين وروسيا ومن ثم إلى أمريكا عبر مضيق بهرينك قبل حوالي ١٥ ألف عام .

### ثانياً: المدنية وحضارة إشادة المدن:

يقول عالم الأنثروبولوجيا الأمريكي رالف لنتون في كتابه (شجرة الحضارة، جزء ٢، ص ١١٩): «كانت المدينة اكتشافاً وحدثاً اجتماعياً ذا نتائج بعيدة المدى أكثر من أي اكتشاف

تكنولوجي آخر. لهذا السبب نعتبر فترة ظهورها نقطة النهاية لفترة ما قبل الحضارة.. لكننا لا نخطئ أبداً إذا نظرنا إلى المدينة التي ظهرت أولاً في منطقة جنوب غرب آسيا، على أنها كمؤسسة جديدة نشأت في فلسطين أولاً، ثم تطورت في بلاد ما بين النهرين ما بين ٤٥٠٠ - ٤٠٠٠ ق.م، وبأنها لم تظهر في وادي السند إلا ٣٥٠٠ ق.م، وفي الصين ٢٠٠٠ قبل الميلاد، أما في أوروبا فإننا لا نجد إلا عدداً قليلاً مما يمكن أن نطلق عليها بحق مدناً حتى في اليونان نفسها قبل ٩٠٠ - ٨٠٠ ق.م، بينما لم تقم هذه المدن في شبه جزيرة اسكندنافيا حتى عام ١٠٠٠ م.

ونشير هنا إلى أن العالم كله تجاهل عن جهل أوجهالة، أو عن سوء نية أن الأقنية الجوفية التي يصل طول بعضها إلى ٢٠٠ كم والأحواض الجوفية التي تتسع لملايين الأمتار المكعبة من الماء والتي حفرها الكنعانيون تعتبر من عجائب الدنيا، لا تقل أهمية عن الأهرامات المصرية والجنان المعلقة البابلية.

ومن المؤسف أن كثيراً من المؤرخين والباحثين العرب والمسلمين يطلقون عليها اسم الأقنية الرومانية مع أن الدراسات الأثرية أكدت أنها أقنية كنعانية قديمة قام الرومان بتجديدها.

### ثالثاً: التاريخ الحقيقي للقدس:

أكدت الحفريات والدراسات الأركيولوجية والأنثروبولوجية واللغوية والتاريخية أن المدينة المقدسة ترجع بعهدا إلى العصر البرونزي المبكر، أي إلى مطلع الألف الثالث قبل الميلاد، وهي فترة نشوء ما تسمى «دويلات المدن» في بلاد كنعان، وعلى أنها كانت في ذلك الحين مدينة صغيرة دون أسوار، كما أكدت تلك الدراسات والتتقيات أن تلك المدينة انتعشت مجدداً على يد اليبوسيين الكنعانيين في مطلع عصر البرونز الوسيط وأصبحت مدينة كبيرة تم الكشف عن سورها الذي يعود تاريخ بنائه إلى عام ١٨٠٠ ق.م<sup>(١)</sup>.

إذا كانت هذه المدينة قد تأكد وجودها قبل خمسة آلاف عام من قبل الكنعانيين أي قبل هجرة ما أطلق عليها الكثير من المؤرخين القبائل العبرانية وما تطلق عليه التوراة اسم «أبرام» بألف عام تقريباً، فهذا معناه أن هذه الأرض والمدينة هي كنعانية مئة بالمئة، باعتبار أن الجميع يعرفون ويؤكدون على ما جاء في التوراة من أن أبرام (الذي لايمت بأي صلة لسيدنا إبراهيم) ونسله عندما تركوا أور الكلدانيين حوالي عام ٢٢٠٠ ق.م وجأوا إلى شكيم (نابلس اليوم) فإن مدينة القدس كانت مشادة قبل قدومهم بثمانمائة عام على الأقل، وهذا ما تشير إليه التوراة في سفر التكوين، كما تؤكد التوراة ذاتها على أن يعقوب وأبنائه وأحفاده وزوجاتهم هاجروا من فلسطين إلى مصر واستقروا فيها حوالي عام ٢٠٠٠ ق.م، أي قبل نشأتها الثانية واستقروا فيها ولم يعودوا إليها، إلا بعد ثمانمائة عام مع موسى، مما يؤكد أن المدينة الجديدة قد أشيدت عام ١٨٠٠ ق.م وبني لها ذلك السور القديم والعظيم أثناء غيابهم في مصر، وأنها بنيت وسورها القديم وتوسعت على يد الكنعانيين الذين أطلقوا عليها هم وغيرهم اسم «يبوس» ثم أطلق عليها البابليون أثناء

(١) فراس السواح: الحدث التوراتي والشق الأدنى القديم، ص ١٤٤ نقلاً عن كتاب «تاريخ إسرائيل القديم» لعالم الآثار طومبسون.

حكمهم لها اسم «أور سالم» أي «مدينة السلام». مما يعني أن الغزاة اليهود الذين تسللوا إليها تحت حكم الآشوريين والفرس الإخمينيين حافظوا على الاسم ذاته بعد إبدال حرف السين بالشين «أورشليم». وهذا ما تؤكد عليه أيضاً التوراة ذاتها التي تورد في سفر القضاة اسم «يبوس» على المدينة المقدسة وليس «أورشليم» كما تورد أيضاً في سفر أشعيا الاسم الكنعاني «أرنيل» أي مدينة «إيل» وفي المزامير أطلقوا عليها أيضاً اسم «المدينة» دون أي تسمية، أما في سفر أشعيا فتورد التوراة اسم «القدس» عدداً من المرات .

وتؤكد الوثائق التاريخية أن «أورشليم» لم يكن إلا اسماً عابراً أطلقه عليها اليهود فقط ، باعتبار أن الرومان ما بين عامي ٧٠ ق.م و ٦٣٦م أطلقوا عليها اسم «إيليا كيبيتولينا» وظل هذا الاسم ملاصقاً لها حتى مجيء المحررين العرب لها عام ٦٣٦م، حيث أكد سفرينيوس في العهدة العمرية على اسمها «إيليا» وليس «أورشليم»<sup>(١)</sup>.

ونشير هنا إلى أن إطلاق بعضهم عليها اسم «أورشليم» لا يغير من حقيقتها التاريخية ومن كونها بالأساس مدينة كنعانية خالصة أشيدت من قبل الكنعانيين قبل خمسة آلاف عام ثم أحيطت بسور قبل حوالي أربعة آلاف عام وأن الكنعانيين واليبوسيين (أحفاد الكنعانيين) كما تقول التوراة ذاتها ظلوا ساكنين فيها ولم يخرجوا منها أبداً حتى أثناء وبعد إقامة مملكة اليهود المزعومة .

#### رابعاً: فلسطين مركز انتشار الحضارة الإنسانية:

بغض النظر عن الإنجازات الحضارية الكثيرة التي نشأت في العصور الحجرية أو العصر البرونزي أو الحديدي سواء في فلسطين أو في بلاد ما بين النهرين أو بلاد فارس أو مصر أو الجزيرة العربية فإن أغلب علماء الأنثروبولوجيا والمؤرخين يؤكدون أن أكثر من أربعين منجزاً حضارياً رفقت وما تزال البشرية كلها ترفل بنعيمها حتى الآن هي إنجازات لشعوب هذه المنطقة العربية، وعلى أن الإبداعات الجديدة التي قاموا بها بعد ذلك بألاف الأعوام استندت إلى تلك الإنجازات الحضارية التي لم تجد طريقها للانتشار إلى كافة بقاع العالم إلا من خلال الأقوام التي سيطرت على الشواطئ الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، تلك الأقوام التي عرفت تحت اسم الفينيقيين (أحد الشعوب الكنعانية)، ويؤكد جميع المؤرخين أن هؤلاء الفينيقيين الكنعانيين استقروا في هذه المنطقة منذ ما يزيد عن ٥٠٠٠ آلاف عام قبل الميلاد وسيطروا على حوض البحر الأبيض المتوسط لفترة استمرت حتى عام ٣٠٠ ق.م<sup>(٢)</sup>. وكانوا أول من صنع سفينة قادرة على عبور البحار والوصول إلى الشواطئ الأخرى من البحر المتوسط، وبالتالي كانوا

(١) ومن المؤسف أن نقول أن القدرات الإعلامية للمرابين والمصريين اليهود وأدواتهم جعلتهم أقدر منا على تعميم اسم أورشليم وعلى تغييب اسمها الكنعاني «يبوس» وحتى الروماني والذي ظل ملاصقاً لها طيلة ٧٠٠ عام تقريباً.

(٢) إسرائيل وليفنسون: تاريخ اللغات السامية، ص ٥٢.



الأقدر على إيصال جميع المنجزات الحضارية التي أنجزتها فلسطين والمنطقة إلى جميع شواطئ وبلدان البحر الأبيض المتوسط ثم انتقلت منها إلى جميع بقاع العالم الداخلية<sup>(١)</sup>.

ونذكر هنا ببعض الصناعات التي تدين البشرية كلها بها للكنعانيين مثل (صناعة الزجاج والألوان والأصبغة وصناعة السفن ونظام الحساب) والتي تعتبر إنجازات كنعانية بحثة لم يسبق لأي منطقة في العالم أن توصلت إليها قبل الكنعانيين<sup>(٢)</sup>.

#### خامساً: الشريعة والقوانين:

يشير كل من أولس هورن ونولدكه وويلفنسون إلى أن الذين أسسوا أول مملكة في بابل وسيطروا على بلاد ما بين النهرين هم المهاجرون الكنعانيون وذلك منذ ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد، ويؤكدون على أن أسرة سوماباي الكنعانية سيطرت على عرش بابل حتى ٢٣٠٠ ق.م، كما جاء على لسان ولفنسون حرفياً: «وكان للأسرة الكنعانية التي أسسها عمورابي الكنعاني تأثيرٌ عظيمٌ في حياة بابل» وهو ما تؤكد طريقة كتابة الخطوط المسمارية الكنعانية التي عثر عليها في بابل.

ويؤكد هؤلاء أن أحفاد عمورابي الكنعاني هم الذين سنوا الشريعة التي عرفت فيما بعد بشريعة «حمورابي» منذ ١٧٥٠ ق.م. ونذكر هنا بأن هذه الشريعة التي تحتوي على ٢٨٢ مادة منها ٢٦ مخصصة لآلية إبرام عقود الشركات والمبادلات التجارية تعتبر في نظر جميع الباحثين أول شريعة إنسانية شاملة. ويشير بعض المؤرخين مثل برستد ويوسفوس أطلقوا على العمونيون اسم

«الهكسوس» (هيك: ملوك، سوس: الراعي) أي ملوك الرعاة. وأن الكنعانيين هاجروا مع العمونيين وحكموا مصر ما بين ١٨٠٠ إلى ١٦٠٠ ق.م ونشروا شريعتهم فيها<sup>(٣)</sup>.

ونشير هنا إلى أن بعض الباحثين يرون أن الشريعة التي نادى بها موسى المصري فيما بعد والتي زعمت التوراة أنها الشريعة التي أنزلت عليه في صحراء سيناء، ما هي إلا نسخة معدلة عن شريعة عمورابي الكنعانية، نقلها كتبة التوراة (عزرا ونحميا، كما تقول التوراة ذاتها في سفر عزرا) في بابل عام ٥٠٠ م بعد القضاء على المملكة البابلية. ولقد أكد كثير من المؤرخين الغربيين على أن هذه الشريعة الموسوية ذات الأصل السومري والكنعاني قام اليهود بعد اندثار تلك الأقوام القديمة بانتحالها وتحريفها والزمع بأنها الشريعة التي أنزلها الله لهم.

(١) نذكر هنا بما قام به هنبعل «هانيبال» الكنعاني قبل ٤٠٠ ق.م حيث قام بنقل الفيلة على ظهر السفن من إفريقيا إلى أوروبا وجبال الألب وغزا روما.

(٢) ولفنستون، المصدر السابق، ص ٥٤.

(٣) فراس السواح: الحدث التوراتي، ص ٢٣٣، رجا عرابي: سفر التاريخ اليهودي، ص ١٦٠.

مما يعني أن هذه الشريعة الكنعانية كانت هي الأساس الذي قامت عليه جميع الشرائع الكبرى فيما بعد وبخاصة قوانين جنسنين الروماني، ثم وسعت ووطورت وأضيف إليها تفاصيل كثيرة في فرنسا وإنكلترا مابين القرنين الثامن عشر والتاسع عشر .

### سادساً: التجارة العالمية:

إذا كانت كلمة الفينيقيين قد أطلقت على الفرع الكنعاني الذي عمل في التجارة البحرية فإن الفرع الداخلي من الكنعانيين سيطروا على طرق التجارة الداخلية . وإذا كان الفينيقيون قد سيطروا على التجارة في كل من بلاد اليونان وإيطاليا وفرنسا وإيبيريا ووصلوا إلى السويد والنرويج فإن الفرع الداخلي من الكنعانيين وصلوا إلى الهند والصين وجزرهما في أندونيسيا والفلبين وحتى إلى أمريكا، لذلك أصبحت مدن فلسطين الداخلية ومدينة القدس بالذات أهم مركز تجاري في العالم القديم وبمثابة جسر بين القارات الثلاث استمرت إلى العصور الحديثة، ولقد أشار إلى هذه الحقيقة مؤسس علم الجغرافيا السياسية ه.ج. مأكندر بقوله: «إذا أصبحت الجزيرة العربية مركزاً للجزيرة العالمية (العالم القديم) فإن قلعة القدس القائمة على التلة تتمتع بموقع استراتيجي حاسم بالإشارة إلى الحقائق العالمية الحديثة والتي لا تختلف عما كان ينظر إليه في القرون الوسطى استناداً إلى موقعها المثالي والاستراتيجي بين بابل ومصر». ولهذا السبب فإن اليهود بحسبهم التجاري اكتشفوا الأهمية الاستراتيجية لفلسطين والقدس، لذلك سعوا لاحتلالها والسيطرة عليهما تحت كنف الآشوريين أولاً ثم البابليين ثم الفرس الإخمينيين ثم الإغريق ثم الرومان. وتؤكد أغلب كتب التاريخ أن عيسى بن مريم الكنعاني الأصيل عندما أراد تحرير بلاده من اليهود أدوات الرومان تأمروا عليه بقيادة الكاهن «قيافا» رئيس مجلس حكماء بني صهيون. «مجلس السنهدين». وكانوا سبباً في قتله، وعندما أدرك الرومان أن اليهود يسعون إلى الانفراد بفلسطين والسيطرة عليها وعلى طرق التجارة عام ٧٠ م قاموا بابعادهم عن حكمها ثم قام تيتوس عام ١٣٥ م بطردهم منها بصورة نهائية ومنعهم من دخولها، وظل هذا الأمر سارياً بعد أن تبنى الرومان الديانة المسيحية حتى مجيء العرب المحررين لها، والذين أبرموا عن طريق خليفته عمر مع المطران سيفرينيوس مطران القدس ما عرفت في التاريخ باسم العهدة العمرية التي تحرم دخول اليهود إلى إيليا «القدس» وظل هذا الأمر سارياً حتى عام ١٨٤٠م، حيث سمح لهم إبراهيم باشا ومن أتوا بعده تحت ضغط الدول الأوروبية الاستعمارية الحج إليها والإقامة فيها حيث استغلوا عملية السماح هذه ليزيدوا من هجرتهم إليها ويزيدوا حاجة الدول الاستعمارية إليها خاصة بريطانيا لحماية الطريق إلى مستعمراتها في الهند ليسيظروا على هذا الموقع التجاري الهام والحساس كما فعلوا مع الآشوريين والبابليين والفرس والرومان.

### سابعاً: الأبجدية:

بسبب هذا الموقع التجاري الهام الذي مثلته فلسطين ومركزها مدينة القدس والمدن الأخرى التابعة لها، نابلس، الخليل، أريحا، بئر السبع، غزة، رفح، حيث كانت تتجمع فيها قبائل وتجار من جميع المدن والممالك التي كانت تعيش في الجزيرة العربية (السبئيون والحميريون، أو في

سورية الداخلية (الآراميون) أو في بلاد ما بين النهرين ومصر البابليون والفرعون، وأنه بسبب هذا الوضع كما يرى الباحث السويدي أولاف برغرين فإنه كان لا بد من أن تتوافر أو أن يتم البحث عن لغة مشتركة تتيح المجال لهذه الأقوام ذات اللغات واللهجات المختلفة والتي كانت تلتقي في فلسطين من أن تتوصل إلى لغة مشتركة.

من هنا نشأت الحاجة إلى اختراع الأبجدية الكنعانية حيث أكد جميع الباحثين وعلماء اللغات القديمة أن أول أبجدية عرفها العالم هي الأبجدية التي أبدعها الكنعانيون والتي أخذت جميع الشعوب الأخرى أبجديتها منها، ولقد كتب أولاف برغرين في (ص ١٥) في كتابه «قصة الكتابة»: (أن الفرع الأولي في اللغات السامية القديمة هو الفرع الكنعاني الذي أخذ منه اليونانيون حروفهم عندما حكموا فلسطين قبل الميلاد بـ ٣٠٠ عام، ويؤكد «أن الفينيقيين الذين استخدموا نظام الكتابة الذي توصل إليه إخوانهم الكنعانيون قد نشروا هذا النظام في جميع المدن الفينيقية، وبخاصة في مستعمراتهم في كل من صقلية وإيطاليا وفرنسا ومالطا وشبه الجزيرة الإيبيرية». بينما يرى إلياس البيطار في كتابه «الأبجدية الفينيقية والخط العربي»: «أن الأبجدية الكنعانية الشمالية الأوغاريتية ما تزال تستخدم حتى الآن في السويد والنرويج وفنلندا»، ويؤكد ويلفنسون<sup>(١)</sup> أن أقدم آثار اللغة الكنعانية من حيث الألفاظ والمصطلحات قد وردت في رسائل موجهة من بعض الأمراء الكنعانيين إلى الملك آمون في القرن ١٤ ق.م، ثم تلتها رسائل منسوبة للملك الكنعاني كلمو كشف عنها في قبرص في القرن التاسع قبل الميلاد، وهناك نقوش كنعانية أخرى أحدث عثر عليها في كل من مصر وصقلية وبلاد الإغريق ومالطا وسردينيا وجنوب فرنسا وأسبانيا، ويؤكد ويلفنسون أنه عندما فكر الأوغاريتيون الكنعانيون الشماليون بالانتقال من المقطعية إلى الأبجدية فإنهم قاموا بأول خطوة لإيجاد الوسيلة المثلى للتخاطب بين البشر، لكنهم ظلوا أسرى الخط المسماري البابلي إلى أن جاء الكنعانيون فابتدعوا الخط الكنعاني، وقد مثلت هذه الخطوة أرقى مراحل الكتابة الإنسانية من حيث أنها صوتية وتتضمن عدداً قليلاً من الأحرف أو الرموز لا تتجاوز (٢٢). وحول الجدل الدائر حول الأقدمية يؤكد ويلفنسون «أما نحن فنقول إن الخط الكنعاني ليس إلا من صنع الكنعانيين واختراعهم وحدهم لأنه لا يوجد أي دليل على وجود أبجدية حرفية أقدم من هذا النوع من الأبجديات لدى غيرهم من الشعوب والأمم».

ويشير فيلسيان شالي في كتابه (موجز تاريخ الأديان، ص ١٥٣) إلى أن الفينيقيين بعد أن نجحوا في تحليل الأصوات المقطعية التي كانت مستخدمة في الكتابة الهيروغليفية المصرية والمسمارية البابلية ميزوا بين الأحرف الصوتية وبين أحرف المد، ومن هذه الكتابة نشأت الألف باء الإغريقية والألف باءات الحديثة، ثم يقول «إن هذا الاختراع يفترض قدرة فائقة في التحليل شبيهة بتلك التي برهن عليها الكنعاني الصيدواي موسكوس الذي كان أول من أنشأ الفرضية الذرية»<sup>(٢)</sup>، ويؤكد شالي على أن «الألف باء الفينيقية والأفكار ذات الأصل الميزبوتامي تمثل العطاء الثمين الذي قدمته آسيا الغربية للحضارة العالمية».

(١) ويلفنسون، مرجع سابق، ص ٦٠.

(٢) استناداً لما كتب سولون استرابون المستشهد به من قبل ماسون ورسيل في تفسيره العلمي للفرضية الذرية الحديثة.

أما فيما يتعلق باللغة العربية فيؤكد كلٌّ من عدنان البني في كتابه المدخل إلى قصة الكتابة، وإلياس بيطار في كتابه من الأبجدية الفينيقية إلى الخط العربي «أن الكتابة الآرامية ظلت تحتفظ بالشكل الكنعاني القديم إلى القرن الخامس ق.م، ثم تحولت إلى شكل منمق في القرن الرابع ق.م (الخط الآرامي المربع). وبهذا الخط عثر على أول تورا مكتوبة باللغة الآرامية. (الفينيقية القديمة). وبعد ذلك تطورت تلك اللغة الآرامية على يد النبطيين ثم التدمريين حيث نشأت فيما بعد الأشكال اللينة من الأحرف السريانية ثم ظهرت في الجنوب اللغة العربية للقبائل البائدة – في اليمن وحضرموت (عاد وثمود). ثم اللحيانية أو لهجة عرب الصفا» ومن هذا الخليط من اللغات نشأت اللغة العدنانية ثم القرشية والتي بها أخذت العربية شكلها النهائي. خاصة لأن القرآن أنزل بها.

ويؤكد أولاف برغرين في كتابه «قصة الكتابة» الأصول العربية الكنعانية للغات التالية [الكردية، البوسنية، الأردنية، الأذربيجانية، الأوزبكية، القرغزية، ولغة أرخبيل الملايو وجاوة والقبائل القوقازية والشركسية (الأداعية والأباضية)، الكيسواحلية واللغة الماندارية الفينيقية]. وأن المصريين تبنا اللغة العربية ما بين ٧٠٠ ق.م و ١٤٠٠ ب.م. بعد أن تخلوا عن اللغات القديمة الديموطيقية والهراطيقية الأمر الذي يعني أن العالم كله بما فيه العالم العربي يدين للكنعانيين بالأبجدية التي شكلت الوعاء الذي بواسطته تم حفظ ونقل التجارب الإنسانية وتطويرها والتي دونها ما حصل هناك لا علم ولا تطور ولا حتى تكنولوجيا وكمبيوتر.

#### ثامناً: الديانة:

أكدت مئات الدراسات والمشاهدات التي قام بها مئات المنقبين عن الآثار والدراسين التي لا مجال لذكرها الآن<sup>(١)</sup>، إلى أن أقدم مراكز العبادة التي ظهرت في التاريخ الإنساني تعود إلى ما قبل ٦٥٠٠ ق.م قد اكتشفت في منطقة أريحا ومنطقة بيضا وعين غزال في فلسطين، كما تشير إلى أن أقدم اسم لله الواحد الأحد إله الكون كله قد ظهر أول ما ظهر في القدس باسم «إيل» كبير الآلهة الكنعانيين والذي أصبح يعني في اللغة الكنعانية «الله» وهذا اللفظ الكنعاني الأصل لله «إيل» يبقى الصخرة التي تتكسر عليها جميع دعاوى اليهود وغيرهم. فمن كلمة «إيل» اشتقت القدس اسمها «إيليا» واشتقت كلمة «اللات» والتي أصبحت فيما بعد الله. فـ«إيل» الإله الذي كان إلهاً للكنعانيين القدامى منذ حوالي ٢٠٠٠ ق.م وبخاصة للمجموعة التي اعتبرته خالقاً لها وأطلقوا على أنفسهم أبناء «إيل» أو بني «إيل».

كان يلقب بأبي البشر وباني الأبنية وأبي الآلهة ثم أصبح خالق الجميع، ثم اعتبروه قوة روحية غير مرئية حكيمة متحكممة بالبشر تسكن في مكان مقدس مرتفع. ثم أصبح «إيل» خالقاً للعالم وأباً للآلهة والبشر، اللطيف الرؤوف الرحيم... الخ والذي يسكن في السماء السابعة، ثم أقاموا له معبداً في مكان مرتفع في القدس أطلقوا عليه اسم بيت «إيل». كانوا يتعبدون فيه ثم

(١) فراس السواح، مرجع سابق، ص ٢٨٧.

أصبح يطلق على الكهنة الذين يقومون على حماية هذا المعبد اسم «دانييل» أي خادم إيل والذي أصبح فيما بعد النبي دانيال.

كما تؤكد جميع المصادر الأثرية أن هذا الإله الذي اسمه «إيل» قد عُبدَ في قرطاج ثم في اليونان ثم عبده الصفويون والتموديون والحيانيون. يفهم من ذلك أن أول من ابتدع فكرة الإله الواحد الأحد خالق الأكوان والبشر إنما هم الكنعانيون قبل حوالي ٤٠٠٠ عام من الآن.

ونحن في هذا المجال لن ندخل في جدل عبثي طويل ومعقد وشائك حول أصل أول الأنبياء الموحدين وأقصد إبراهيم الخليل (المشتق اسمه من خل - إيل - أي صديق الله وبالتالي خليل الله). لكن من المؤكد أنه كان أول الأنبياء الذين دعوا إلى عبادة الله الواحد الأحد وأن دعوته لقيت قبولا أولياً لدى الكنعانيين في فلسطين منذ حوالي ٢٠٠٠ ق.م ثم انتشرت في جميع أنحاء العالم. وإن جميع الأنبياء الآخرين الداعين للتوحيد باستثناء نبينا محمد عليه الصلاة والسلام قد ظهوروا وعاشوا ودفنوا في فلسطين. وتؤكد المصادر التاريخية العديدة أن المسلمين الأوائل أرادوا نقل جثمان نبينا محمد (ص) إلى فلسطين وبالذات إلى القدس لدفنه فيها من منطلق أن جميع الأنبياء مدفونون في تلك الأرض المسماة الأرض المقدسة. الأمر الذي يؤكد أن الديانة التوحيدية التي عممت على البشر جميعاً فيما بعد تحت أسماء عديدة كالإبراهيميين والأحناف والصابئة المندائيين والنصارى، ثم المسيحية التي يدين بها مليار ونصف مليون إنسان في العالم إنما نشأت في فلسطين ومنها انتشرت إلى جميع بقاع الأرض، وأخيراً الديانة الإسلامية. وهذا ما أكدته حتى إسرائيل ولفنسون المؤرخ اليهودي الذي قال في كتابه «تاريخ اللغات السامية»، «وإضافة إلى التأثير الكبير العلمي والصناعي واللغوي للكنعانيين على العالم الحديث لابد من تأكيد تأثيرهم الديني في جميع الأمم السامية والآرية».

#### تاسعاً: ثقافة العمل والعدل والمساواة:

بينت التنقيبات الأثرية التي كشف عنها مؤخراً أن طائفة الإسينين التي ظهرت في فلسطين قبل ميلاد السيد المسيح عام ١٠٠ ق.م والتي عثر على مخطوطاتها في البحر الميت مؤخراً، والتي زعم أنها طائفة يهودية<sup>(١)</sup> بينما هي في الحقيقة مناقضة لها بصورة جذرية. وأورد هنا ما قاله فليسون شالي في كتابه «موجز تاريخ الأديان» عن هذه الطائفة التي زعم استناداً لما قاله فيلون الإسكندري بأنها يهودية «لقد تخلوا عن كل ملكية شخصية، وكانوا يمتنعون عن الذهب والفضة. وما من أحد منهم كان يملك أرضاً، أو بيتاً. وكانوا يسكنون معاً في بيوت مفتوحة للرفاق القادمين من البلاد الغربية. وكانت الثياب، والأغذية والبضائع المحفوظة في مخازن جماعية ملكاً للجميع. وكانوا لا يعملون إلا ليحصلوا على الحد الأدنى الضروري لحياتهم. وكانوا يمارسون الزراعة والصيد، ولكنهم يتأبون على التجارة التي تنمي حب الربح والرغبة في إيذاء

(١) وهو كلام غير صحيح بسبب أنها كانت أول طائفة في تاريخ العالم تنبذ المال وتدعو إلى العدل والمساواة، على عكس الديانة اليهودية المعروفة بأنها ديانة حب المال والمنفعة الشخصية والأنانية، وتقوم على نزعة التفوق العنصرية وحق المؤمنين بها في استعباد الآخرين.

الآخر. ولم يكن لديهم صناع يصنعون الأسلحة، أو أشياء أخرى يمكن أن تستخدم في الحرب. ولم يكن لديهم عبيد. وكانوا جميعاً متساوين. وكانوا جميعاً أحراراً»<sup>(١)</sup>.

### عاشراً: ثقافة الصمود والثبات والمقاومة:

على الرغم من أن سفري يشوع والقضاة يكتثرون من الحديث عن المجازر والجرائم والحرائق وحروب الإبادة التي ارتكبتها الغزاة اليهود في أريحا وعاي وبيوس، إلا أن الآية رقم ٦٣ الواردة في الاصحاح (١٥) من سفر يشوع نفسه تتناقض ما جاء في ذلك السفر حيث تؤكد: «وأما اليبوسيون الساكنون في اورشليم فلم يقدر بنو يهوذا على طردهم، فسكن اليبوسيون مع بني يهوذا في اورشليم إلى هذا اليوم». ونورد هنا أيضاً ما جاء في الاصحاح الأول في سفر القضاة (الآية ٢١): «وبنو بنيامين لم يطردوا اليبوسيين سكان اورشليم فسكن اليبوسيون مع بني بنيامين في اورشليم إلى هذا اليوم»، كما نذكر بما جاء في الآية رقم (٢٢): «فسكن الأشيريون في وسط الكنعانيين سكان الأرض لأنهم لم يطردوهم».

ونحن إذا ذهبنا معهم وسلمنا بأن داود كان ملكاً يهودياً فإن التوراة ذاتها تؤكد أنهم بعد أن نصبوه عليهم ملكاً عمل على احتلال المدينة التي أصبح اسمها «اورشليم» مما يؤكد أن المدينة بقيت تحت حكم الكنعانيين طيلة المئتي عام السابقة على حكم داود ثم من بعده أيضاً، حيث يؤكد سفر صموئيل الثاني أن الكنعانيين اليبوسيين ظلوا يشكلون سواد أهلها، وحيث يؤكد سفر أخبار الأيام الأول الآية (١١): «لقد بقي اليبوسيون في الأرض إلى ما بعد السبي البابلي».

فإذا كانت فلسطين ارض الكنعانيين والقدس بالذات قد تعرضت لعشرات الغزوات ومئات المجازر والمذابح والتي لا تشكل الغزوة الأخيرة لليهود لها إلا إحداها فإننا نؤكد أن شعبها الكنعاني لم يغادرها يوماً واحداً إطلاقاً، وظل صامداً فيها كالصبار والشوك والزيتون، ومع أن الغزوة الأخيرة كانت الأشد والأعنف لأنها كانت وما تزال مدعومة من جميع قوى الشر في العالم، إلا أن ٦٠% من أبناء شعبها أحفاد هؤلاء الكنعانيين ظلوا صامدين على أرضها و ٣٠% الذين طردوا منها قسراً ما زالوا يحيطون بها في سوريا ولبنان والأردن إحاطة المعصم باليد.

مدينة مثل هذه وشعب مثل هذا الذي سكنها واستقر فيها وشيدها وقدم للحضارة الإنسانية كل ما ذكرناه والذي ما زال قسم كبير منه صامداً فيها، والآخر متمسكاً بها وبحقه في العودة إليها. شعب مثل هذا يستحق الاحترام والتقدير من جميع شعوب العالم، ومن البشرية جمعاء، كما يستحق منهم أن يقفوا إلى جانبه وإلى جانب حقه في تحريرها من هؤلاء الغزاة وفي العودة إليها، مؤكدين أن هذه المدينة لن تعيش بسلام كما لم تعيش طيلة الألف وخمسمائة عام الماضية (٥٠٠ عام تحت حكم الرومان، و ١٠٠٠ عام تحت حكم العرب والمسلمين الذين حرّموا على اليهود الإقامة فيها بناء على الوعد الذي قدموه لسفر بنينوس عام ٦٣٦ م). الأبطرد هؤلاء الغزاة منها .

وآمل أخيراً أن يجد جميع بني البشر والعرب أبناء وأحفاد الكنعانيين والفينيقيين والآراميين والبابليين.. الخ في هذه القراءة التاريخية ما يجعلهم يستمدون منها الثقة بأنهم جديرون بهذه

(١) فيلسيان شالي، موجز تاريخ الأديان، ص ١٨٣.



القدس

مهد الحضارة الإنسانية

الأرض وبهذه المدينة ويؤمنون بضرورة تحريرها من هؤلاء الغزاة الذين لابد أن يصبحوا عابرين كغيرهم من الأقوام والشعوب الغازية، ولابد أن ينتهي ذكرهم فيها كما انتهى ذكر غيرهم.

\_J6